[ 32 ] ولا يشير بطرفه إليه، أما واﷲ لانا أكثر من ابن الخطاب عددا، وأقرب ناصرا وأجدر إلى أن قال لهم: أتفقدون من حقوقكم شيئا ؟ فمالي لا أفعل في الفضل ما أريد، فلم كنت إماما إذا ؟ أما واﷲ ما عاب على من عاب منكم أمرا أجهله، ولا أتيت الذي أتيت إلا وأنا أعرفه. قال: وقدم معاوية بن أبي سفيان على أثر ذلك من الشام، فأتى مجلسا فيه علي ابن أبي طالب، وطلحة بن عبيد اﷲ، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر، فقال لهم: يا معشر الصحابة، أوصيكم بشيخي هذا خيرا، فو اﷲ لئن قتل بين أظهركم لاملانها عليكم خيلا ورجالا، ثم أقبل على عمار بن ياسر فقال: يا عمار، إن بالشام مئة ألف فارس، كل يأخذ العطاء، مع مثلهم من أبنائهم وعبدانهم، لا يعرفون عليا ولا قرابته، ولا عمارا ولا سابقته، ولا الزبير ولا صحابته، ولا طلحه ولا هجرته، ولا يهابون ابن عوف ولا ماله، ولا يتقون سعدا ولا دعوته، فإياك يا عمار أن تقعد غدا في فتنة تنجلي، فيقال: هذا قاتل عثمان، وهذا قاتل علي. ثم أقبل على ابن عباس فقال: يا ابن عباس، إنا كنا وإياكم في زمان لا نرجو فيه ثوابا، ولا نخاف عقابا، وكنا أكثر منكم، فو اﷲ ما ظلمناكم ولا قهرناكم ولا أخرناكم عن مقام تقدمناه، حتى بعث اﷲ رسوله منكم، فسبق إليه صاحبكم، فو اﷲ ما زال يكره شركنا ويتغافل به عنا حتى ولى الامر علينا وعليكم، ثم صار الامر إلينا وإليكم فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه، ثم غير فنطق ونطق على لسانه، فقد أوقدتم نارا لا تطفأ بالماء، فقال ابن عباس. كنا كما ذكرت حتى بعث اﷲ رسوله منا ومنكم، ثم ولى الامر علينا وعليكم، ثم صار الامر إلينا وإليكم، فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه، ولما هو أفضل من سنه، فو اﷲ ما قلنا إلا ما قال غيرنا، ولا نطقنا إلا بما نطق به سوانا، فتركتم الناس جانبا، وصيرتمونا بين أن أقمنا متهمين أو نزعنا معتبين (1) وصاحبنا من قد علمتم، واﷲ لا يهجهج مهجهج إلا ركبه (2)، ولا يرد حوضا إلا أفرطه (3). وقد أصبحت أحب منك ما أحببت: وأكره ما كرهت، ولعلى لا ألقاك إلا في خير.

_____ (1) ملومين. (2) أي لا يصيح صائح مستنكرا إلا أخذ على يده. (3) أفرطه: ملاه حتى سال الماء منه وفاض. (*)

_____